الفصل في المظالم

بقلم معالي الشيخ/منصور بن حمد المالك*

موقف الشريعة من الظلم:

لأن الظلم من أعظم الذنوب وأخطرها على الإنسان وأشدها فتكاً بالمجتمعات وتدميراً للبلاد، سواء كان ظلماً من الإنسان لنفسه أو ظلماً منه لما يعايشه في هذا الوجود من بني جنسه، أو من غيرهم من سائر الكائنات، لهذا فقد عظم الله أمره، ونهى عنه، وحذر منه، وقد تنوعت أساليب القرآن في التحذير منه.

* فضيلة الشيخ منصور بن حمد المالك نائب رئيس ديوان المظالم وأحد رجالات القضاء في المملكة.

١ ـ فتارة بالإخبار عن إنزال العذاب بالظالمين في الدنيا، كقوله تعالى: ﴿ **فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** ﴾ .[١]

٢ ـ وتارة بالوعيد للظالمين بالعذاب في الآخرة كقوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ** ﴾[٢]

٣ ـ وتارة بنفي المغفرة من الله لهم كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ** ﴾[٣]

٤ ـ وتارة بنفي الهداية عنهم كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ .[٤]

٥ ـ وتارة بنفي المحبة لهم كقوله تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [٥]

٦ـ وتارة بنفي الفلاح عنهم كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ .[٦]

٧ـ وتارة بالنهي عن الشفاعة لهم كقوله تعالى: ﴿ **وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا** ﴾ .[٧]

٨ـ وتارة بالنهي عن الركون إليهم كقوله تعالى: ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ** ﴾ .[٨]

٩ ـ وتارة بإنذار للظالمين كقوله تعالى: ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ**

١ـ سورة البقرة ٥٩.
٢ـ سورة يونس ٥٢.
٣ـ سورة النساء ١٦٨.
٤ ـ سورة المائدة ٥١.
٥ ـ سورة آل عمران ١٤٠.
٦ ـ سورة الأنعام ٢١ و١٣٥، وسورة يوسف ٢٣.
٧ـ سورة هود ٣٧.
٨ ـ سورة هود ١١٣.

الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ .[1]

١٠ ـ وتارة بنفي النصير عنهم كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ .[2]

وكما حذر القرآن من الظلم ونهى عنه ، حذرت منه السنة ونهت عنه ، وكما تنوعت أساليب القرآن في ذلك ، تنوعت أساليب السنة كذلك .

١ـ فأحياناً يكون بالنهي عن الظلم ، كما في الحديث القدسي : «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» .[3]

٢ ـ وأحياناً يكون بالتحذير من الظلم كقوله صلى الله عليه وسلم : «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» .[4]

٣ـ وأحياناً ببيان عاقبة الظلم كقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تظلموا فتدعوا فلا يستجاب لكم» .[5]

٤ ـ وأحياناً بالأمر بالتخلص من الظلم في الدنيا ، والتحلل من أصحابه قبل أن يوافوا به في الآخرة حين لا يكون مال يقضى منه ، كقوله صلى الله عليه وسلم : «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء فليتحلله منه اليوم من قبل ألا يكون دينار ولا درهم ، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه» .[6]

---

١ ـ سورة الأحقاف ١٢.
٢ ـ سورة البقرة ٢٧٠ وسرة آل عمران ١٩٢.
٣ ـ صحيح مسلم رقم (٢٥٧٧)
٤ ـ صحيح مسلم رقم (٢٥٧٩).
٥ ـ أورده المنذري في الترهيب من الظلم ٣/ ١٨٤ وعزاه إلى الطبراني.
٦ ـ صحيح البخاري ٢/ ٦٧.

الفصل في المظالم في الإسلام

لم يكن الفصل في المظالم غريباً على الإسلام ولا دخيلاً عليه، بل هو مولود معه، ومربى في أحضانه، وأول من فصل في المظالم في الإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:

١ ـ ما روى عبد الرزاق أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا جهم على غنائم حنين فبلغ أبا جهم أن مالك بن البرصاء غل من الغنائم فضربه أبو جهم فشجه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب القصاص فقال صلى الله عليه وسلم: «ضربك على ذنب أذنبته، لا قود لك، لك مائة شاة»، فلم يرض، فقال صلى الله عليه وسلم: «لك مائتا شاة»، فلم يرض، فقال صلى الله عليه وسلم: «لك ثلاثمائة شاة، لا أزيدك»، فرضي الرجل.

٢ ـ ما روى ابن سعد[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى عامله على البحرين العلاء بن الحضرمي أن يقدم عليه بعشرين رجلاً من عبد القيس، فقدم عليه بعشرين رجلاً على رأسهم عبد الله بن عوف الأشج، فشكى الوفد من العلاء، فعزله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وولى مكانه أبان بن سعيد بن العاص، وقال له: «استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم».

وقد أخذ الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم بهذه السنة ومن ذلك:

١ ـ ما ورد عن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ أنه عنف خالد بن الوليد على ما فعله هو وأصحابه بمالك بن نويرة وقومه، وأمره بطلاق امرأة مالك، وودى مالكاً

١ ـ في الطبقات الكبرى ٤/ ٣٦٠، ٣٦١.

من بيت المال ورد سبي قومه. جاء في الإصابة[1] أن أبا بكر رضي الله عنه أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه فيمن أرسل لقتال المرتدين، وأوصاهم أن يؤذنوا إذا نزلوا منزلاً، فإن أذن القوم كفوا عنهم، وإن لم يؤذنوا قاتلوهم، فإن أجابوا داعية الإسلام سألوهم الزكاة، فإن أقروا بها قبلوا منهم، وإن أبوا قاتلوهم، فبعث خالد سراياه، وأمرهم بداعية الإسلام، وأن يأتوه بكل من لم يجب، فجاءوه بمالك بن نويرة في نفر من بني ثعلبة بن يربوع فأمرهم خالد فحبسوا وكان في ليلة باردة، فنادى مناديه: ادفئوا أسراكم ـ وهي في لغة كنانة القتل ـ فظن القوم أنه أراد القتل فقتلوهم، فلما سمع خالد الصراخ على الموتى خرج وقد فرغوا منهم، فقال: إذا أراد الله أمراً أصابه، ثم تزوج أم تميم امرأة مالك بن نويرة.

وعندما بلغت أبا بكر الواقعة استقدم خالداً فاستجوبه وعنفه، وأمره بطلاق امرأة مالك بن نويرة، وودي مالكاً من بيت المال، ورد سبي قومه.

إلا أنه عدّ خالداً متأولاً أخطأ الصواب، بدليل قوله لعمر حين قال له: إن سيف خالد فيه رهق، وأكثر عليه في ذلك هيه يا ابن الخطاب تأول فأخطأ.

٢ ـ ما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنا جلوساً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، إذا جاءه رجل من أهل مصر، فقال: يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك، قال عمر: ما لك؟ قال المصري: أجرى عمرو بن العاص الخيل بمصر، فأقبلت فرسي، فلما رآها الناس، قام محمد بن عمرو، فقال: فرسي ورب الكعبة، فلما دنا مني عرفته، فقلت فرسي: ورب الكعبة. فقام

---

١ ـ ١/ ٤١٥.

إلي يضربني بالسوط، ويقول: خذها وأنا ابن الأكرمين. قال أنس: فوالله ما زاده عمر على أن قال له: اجلس، ثم كتب إلى عمرو بن العاص: إذا جاءك كتابي هذا فأقبل، وأقبل معك بابنك محمد، قال فدعا عمرو ابنه محمداً فقال: أأحدثت جرماً؟ أجنيت جناية؟ قال: لا. قال: فما بال عمر يكتب فيك؟

قال: فقدم عمرو على عمر، قال أنس: فوالله إذا نحن عند عمر حتى لحق بعمرو وقد أقبل في إزار ورداء، فجعل عمر يلتفت هل يرى ابنه، فإذا هو خلف أبيه، فقال: أين المصري؟ فقال: ها أناذا. قال: دونك الدرة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين. فضربه حتى أثخنه، ثم قال عمر: اجعلها على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه. فقال المصري: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني. قال عمر: أما والله لو ضربته ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذي تدعه. ثم التفت عمر إلى عمرو وقال: أيا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ والتفت إلى المصري وقال: انصرف راشداً فإن رابك ريب فاكتب إلي. (١)

٣ ـ ما ورد عن عثمان أنه كتب إلى عمال الخراج: أما بعد فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق، وأعطوا الحق، والأمانة الأمانة قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما كسبتم، الوفاء الوفاء لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد، فإن الله خصم من ظلمهم. (٢)

---

١ ـ مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لابن الجوزي ٩٨, ٩٩

٢ ـ تاريخ الأمم للطبري ٥/ ٤٤, ٤٥.

٤ ـ ما روى رافع بن أبي رافع أنه كان خازناً لعلي رضي الله عنه على بيت المال، وأن علياً دخل ذات يوم وقد زينت ابنته فرأى عليها لؤلؤة من بيت المال كان قد عرفها، فقال: من أين لها هذه؟ لله عليّ أن أقطع يدها. قال رافع: فلما رأيت جده في ذلك قلت: أنا والله يا أمير المؤمنين زينت ابنة أخي، ومن أين كانت تقدر عليها لو لم أعطها؟ فسكت.[١]

وقد استمر الفصل في المظالم في الدولة الأموية، ثم الدولة العباسية فمن الفصل في المظالم في الدولة الأموية:

ما ورد أن عمر بن عبدالعزيز كتب إلى أمير العراق: أما بعد:

فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم سنها عمال السوء عليهم، وإن قوام الدين العدل والإحسان فلا يكون شيء أهم عليك من نفسك فإنه لا قليل من الإثم، ولا تحمل خرابا على عامر، وخذ منه ما أطاق، وأصلحه حتى يعمر، ولا يؤخذن من العامر إلا وظيفة الخراج، في رفق، وتسكين لأهل الأرض..[٢]

ومن الفصل في المظالم في عهد الدولة العباسية:

ما ورد أن امرأة عرضت للمأمون بثياب رثة، بعدما قام من مجلسه الذي ينظر فيه المظالم، فقالت:

**يا خير منتصف يهدى له الرشـــد		ويا إمامـــــاً به قد أشرق البلد**

**تشكو إليك عميـد الملك أرمـلـة		عدا عليهـا وما تقوى به أســـد**

١ ـ تاريخ الأمم سنة (٤٠) ٥/ ٩٠.

٢ ـ تاريخ الأمم للطبري ٨/ ١٣٩ وتاريخ الدولة الأموية للخضري ٣٧٦.

فابتز منها ضيـاعـاً بعد منعتـهـا لما تفرق عنها الأهـــل والـولـد

فتألم المأمون من ظلامتها، وأطرق قليلاً ثم قال:

من دون ما قلت عيل الصبر والجلد وأقـرح القلب هذا الحزن والكمد

هذا أوان صلاة الظهر فانصـــرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

والمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا أنصـــفك منه وإلا المجلس الأحد

فلما كان يوم الأحد حضرت أول الناس فقال لها المأمون من خصمك؟

قالت: هذا القائم على رأسك، العباس بن أمير المؤمنين.

فأمر المأمون قاضيه يحيى بن أكثم أن يجلس ابنه معها، وينظر في ظلامتها، فأجلسه معها ونظر في ظلامتها بحضرة المأمون فعلا صوتها، فزجرها بعض الحجاب فنهره المأمون قائلاً: دعها فإن الحق أنطقها، والباطل أخرسه، وأمر برد ضياعها عليها.[1]

ولم يزل الفصل في المظالم في الدولة الإسلامية يقوى بقوتها ويضعف بضعفها إلى عصرنا هذا.

مجالات الفصل في المظالم

مجالات الفصل في المظالم منها ما لا يحتاج الفصل فيه إلى متظلم، ومنها ما يتوقف الفصل فيه على متظلم.

فمن المجالات الأولى ما يأتي:

١ ـ الأحكام السلطانية للمـاوردي ٨٤, ٨٥.

١ ـ النظر في سير الولاة والموظفين في المواطنين وتعدياتهم عليهم.

٢ ـ النظر في جور العمال فيما يجبونه من الأموال، فيرجع فيه إلى المعايير العادلة في الدواوين ويحمل الناس عليها، ويؤخذ العمال بها، ويرد ما استزادوه إلى أصحابه.

٣ ـ تصفح أحوال كتاب الدواوين، وأعادتهم إلى الحق، ومحاسبتهم على التجاوز.

٤ ـ تصفح الأوقاف لإجراء ريعها على سبيله، وإمضائها على شروط واقفيها.

٥ ـ رد الغصوب إلى أربابها.

٦ـ النظر فيما يخل بأمن البلاد واستقرارها، من التعديات، والغش والتزوير والرشوة وترويج العملات والمخدرات، والمسكرات، وغير ذلك من الجرائم، وتطبيق العقوبات الرادعة على من تثبت إدانته بشيء منها.

ومن المجالات الثانية ما يلي:

١ ـ تظلمات الموظفين، وأصحاب المخصصات من تأخر مخصصاتهم، أو نقصها، أو منعها، فتعاد إليهم ويحاسب المتسبب في ذلك، ويعامل بما يتناسب مع مخالفته وتعديه.

٢ ـ المنازعات في الحقوق التي يستولى عليها ذوو القوة والمنعة والنفوذ ممن لا يقدر على منعها، أو استرجاعها منهم، ويدخل في ذلك الأوقاف الخاصة إذا تغلب عليها ناظروها لضعف المستحقين لها. والمنازعات الخاصة إذا كانت بين قوي صاحب نفوذ وبين ضعيف لا يقدر على منع حقه، أو استرجاعه ممن

اعتدى عليه.

٣ـ تنفيذ الأحكام القضائية على الممتنعين عن تنفيذها، لقوتهم، ومنعتهم، بجانب ضعف مصدر الحكم والمحكوم له، فيتولى والي المظالم تنفيذها على المحكوم عليه، ويلزمه بالقوة بتسليم الحق لمستحقه، والخروج عما تحت يده لمن هو له.

الفرق بين الفصل في المظالم والولايات المشابهة له.

يتشابه مع الفصل في المظالم القضاء العام وولاية الحسبة.

القضاء العام يتفق مع الفصل في المظالم فيما يأتي:

١ ـ الهدف: فكل من الفصل في المظالم والقضاء العام يهدف إلى إنصاف المظلوم وإحقاق الحق، ودحض الباطل، وبسط العدل، والمساواة بين الناس، وتحكيم شرع الله فيهم.

٢ـ طريق الحكم: حيث يجوز عند بعض الفقهاء كأبي حنيفة[١] والشافعي في أحد القولين[٢] وأحمد في إحدى الروايتين[٣] ـ لكل من قاضي المظالم والقاضي العام القضاء بعلمه، وأن يبني حكمه على القرائن لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حكم لهند على أبي سفيان دون أن يسمع منه، [٤] لعلمه بصدقها، ولما ورد أن عمر رضي الله عنه حكم على أبي سفيان من غير إقرار ولا بينة، [٥] لعلمه بصدق خصمه.

١ ـ حاشية ابن عابدين ٥/ ٤٣٢ , ٤٣٨.
٢ ـ فتح الباري ٩/ ٥٠٧.
٣ ـ المغني ١٠/ ٤٩.
٤ ـ فتح الباري ٩/ ٥٠٧.
٥ ـ المرجع السابق.

٣ـ توجيه الخصوم إلى الصلح، فإن لكل من قاضي المظالم والقاضي العام أن يوجه الخصوم إلى الصلح ويأمر به، إذا أشكل عليه وجه الحق، أو خشي تفاقم النزاع بين الخصوم بإنفاذ الحكم، أو كانوا من أهل الفضل، أو بينهم رحم لقول عمر: ردوا القضاء بين ذوي الأرحام حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث الضغائن.[١]

٤ ـ استعمال الشدة مع الخصوم، فإن لكل من قاضي المظالم، والقاضي العام استعمال الشدة مع المتهم، أو المدعى عليه، حسب القرائن والأحوال.[٢]

٥ ـ أن لكل من قاضي المظالم والقاضي العام الفصل في كل ما يرفع إليه، إلا ما جعل الفصل فيه لغيره، فلا يجوز لكل منهما الفصل فيما لم يجعل له.

ويختلف القضاء العام عن الفصل في المظالم من وجوه:

الوجه الأول: طرق الإثبات، فقاضي المظالم أوسع مجالاً في طرق الإثبات من القاضي العام وذلك من وجوه:

١ ـ أن لقاضي المظالم أن يسلك من طرق الإثبات المشروعة كل ما يوصل إلى الحقيقة ويرفع الظلم، ويزيل اللبس، أما القاضي العام فهو مقيد بإجراءات خاصة وطرق محددة.[٣]

٢ ـ أن لقاضي المظالم أن يسمع من شهادات المستورين ما يخرج عن عرف القضاء العام في شهادات المعدلين.[٤]

---

١ ـ معين الحكام/ ١٩ , ٢٠ وتبصرة الحكام ٢/ ٣٦.
٢ ـ الطرق الحكمية ٥ , ١٥.
٣ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٨٣ , ٨٤، ولأبي يعلى/ ٧٩.
٤ ـ الأحكام السلطانية ٨٣ , ٨٤ ولأبي يعلى/ ٧٩.

٣ ـ أن لقاضي المظالم أن يستحلف الشهود ـ باختيارهم ـ إذا ارتاب منهم، وليس ذلك للقاضي العام. [١]

أن لقاضي المظالم أن يستكثر من الشهود عند الحاجة، وليس ذلك للقاضي العام. [٢]

٥ ـ أن لقاضي المظالم أن يستدعي الشهود ويسمع منهم، من غير طلب، بخلاف القاضي العام فلا يستدعيهم، بل يكلف المدعي بإحضارهم، ولا يسمع منهم إلا بطلب المدعى عليه. [٣]

الوجه الثاني: أن لقاضي المظالم تأديب المعتدي إذا بان عدوانه وظهر ظلمه، بخلاف القاضي العام فليس له ذلك. [٤]

الوجه الثالث: أن لقاضي المظالم تأجيل الفصل في النزاع، إذا لم يظهر له الحق لمزيد من الكشف عن أحوال الخصوم وأسباب النزاع بينهم، أما القاضي العام فيلزمه الفصل في النزاع متى طلب أحد الخصمين ذلك. [٥]

الوجه الرابع: أن لقاضي المظالم من النفوذ وقوة السلطان ما ليس للقاضي العام حتى يتمكن من زجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة والرهبة. [٦]

وولاية الحسبة تتفق مع الفصل في المظالم من وجوه، وتختلف معه من وجوه.

---

١ ـ المرجعان السابقان.
٢ ـ المرجعان السابقان.
٣ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٨٤ ولأبي يعلى/ ٧٩.
٤ ـ المرجعان السابقان.
٥ ـ المرجعان السابقان.
٦ ـ المرجعان السابقان.

فمن وجوه الاتفاق ما يأتي :

١ ـ أن كلا من الفصل في المظالم وولاية الحسبة يقوم على الرهبة وقوة السلطان والصرامة .[١]

٢ ـ أن لكل من قاضي المظالم ووالي الحسبة النظر في أسباب المصالح وإنكار العدوان الظاهر ولو لم يرفع إليهما .[٢]

ومن وجوه الاختلاف ما يأتي :

١ ـ أن الفصل في المظالم لما يعجز القضاء عنه ، أما الحسبة فهي فيما لا يحتاج إلى قضاء وبناء على ذلك كانت رتبة قاضي المظالم أعلى من رتبة القاضي العام ، ومن رتبة المحتسب ولهذا يجوز لقاضي المظالم أن يأمر القاضي العام والمحتسب ، من غير عكس ، ورتبة القاضي العام أعلى من رتبة المحتسب ، فله أن يأمر المحتسب وليس للمحتسب أن يأمره .[٣]

٢ ـ أن لقاضي المظالم أن ينظر في أعمال المحتسب من غير عكس .[٤]

٣ ـ أن لقاضي المظالم أن يحكم وليس ذلك لوالي الحسبة .[٥]

٤ ـ أن لقاضي المظالم أن يتأنى في إصدار الحكم عند الحاجة ، ولا يجوز ذلك للمحتسب لأن عمله مبني على المسارعة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

١ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٢٤٢ ولأبي يعلى ٢٨٦.
٢ ـ المرجعان السابقان.
٣ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٢٤٣ ولأبي يعلى ٢٨٧.
٤ ـ المرجعان السابقان.
٥ ـ المرجعان السابقان.

قاضي المظالم

شروط قاضي المظالم:

شروط قاضي المظالم نوعان :

شروط له بصفة طبيعة عمله وشروط له بصفته القضائية .

فالشروط المعتبرة في قاضي المظالم بصفة طبيعة عمله ما يأتي :

١ ـ أن يكون ظاهر العفة قليل الطمع، كثير الورع .[١]

٢ ـ أن يكون جليل القدر، عظيم الهيبة، له ثبت القضاة، ونصفتهم .[٢]

٣ ـ أن يكون نافذ الأمر شديد الرهبة يتمتع بسطوة الحماة وقوة السلطان، ليستطيع قمع الظالم، وزجر المعتدي، ويقدر على تنفيذ ما يعجز القضاة عن تنفيذه، ويمضي ما عجزوا عن إمضائه .[٣]

وأما الشروط المعتبرة في قاضي المظالم بصفته القضائية فإن قاضي المظالم لا يختلف فيها عن القاضي العام، وهي نوعان :

أ ـ شروط متفق عليها، وهي ما يأتي :

١ ـ البلوغ، وذلك أن القضاء ولاية، والصبي لا ولاية له على نفسه ولا على ماله، فلا يكون ـ من باب أولى ـ والياً على غيره .[٤]

---

١ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٧٧ ولأبي يعلى ٧٣.

٢ ـ المرجعان السابقان.

٣ ـ المرجعان السابقان.

٤ ـ مواهب الجليل ٦/ ٨٧ والمهذب ٢/ ٢٩١ والمغني ٩/ ٣٩ والمحلى ٩/ ٣٦٣ والأحكام السلطانية للماوردي ٩٥ ولأبي يعلى ٦٠.

ولما ورد عنه صلى الله عليه وسلم من الأمر بالتعوذ من إمارة الصبيان. [١]

٢ـ العقل فلا تصح تولية المجنون والمعتوه، ولا يصح قضاؤه إذا ولي لأنه لا ولاية له على نفسه ولا على ماله، فمن باب أولى ألا يكون له ولاية على غيره.

ولأنه عادم للملكة التي يتوصل بها إلى حل ما يعرض له من المشكلات، ولا يكفي مجرد العقل، بل لا بد أن يكون صحيح التميز جيد الفطنة بعيداً من السهو والغفلة، حتى يتوصل بذكائه إلى حل ما يعرض له من المعضلات. [٢]

٣ـ الإسلام، فلا تصح تولية الكافر، ولا يصح قضاؤه لو ولي، وهذا فيما إذا كان النزاع بين المسلمين أو بينهم وبين الكفار[٣] أما إذا كان النزاع بين الكفار فقد اختلف فيه.

وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾. [٤]

حيث نفى الله سبحانه وتعالى أن يكون للكافرين على المؤمنين سبيل، وولاية القضاء من السبيل، فلا تصح للكافر على المسلم.

ولقوله صلى الله عليه وسلم: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»[٥] وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفى علو غير الإسلام عليه، وتولية الكفار القضاء

---

١ ـ نيل الأوطار ٨/ ٢٩٨.

٢ ـ مواهب الجليل ٦/ ٨٧ والمهذب ٢/ ٢٩١ والمغني ٩/ ٣٩ والأحكام السلطانية للماوردي ٩٥ ولأبي يعلى ٦٠ وأدب القاضي للماوردي ١/ ٦١٩ , و٦٢٠ وبدائع الصنائع ٧/ ٣ وبلغة السالك لأقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ٣/ ٢٦١.

٣ ـ المراجع السابقة.

٤ ـ سورة النساء ١٤١.

٥ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٦٥ ولأبي يعلى ٦٠.

على المسلمين تمكين لغير الإسلام أن يعلو عليه فلا يصح .

ب ـ شروط مختلف فيها وأهمها ما يأتي :

١ ـ الإسلام إذا كان النزاع بين الكفار ، أما إذا كان النزاع بين المسلمين أو بينهم وبين الكفار فقد تقدم أنه من الشروط المتفق عليها .

٢ ـ الذكورة فلا تصح ولاية المرأة عند الجمهور[١] من المالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤] لا فرق في ذلك بين المظالم وغيرها من الولايات ما تصح شهادتها فيه، وما لا تصح شهادتها فيه، وذلك للأدلة الآتية :

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾[٥] . وذلك أن الله جعل القوامة للرجال على النساء، ولو جاز أن تولى المرأة القضاء لكان العكس، وهو خلاف مقتضى الآية فلا يجوز .[٦]

الدليل الثاني : قوله صلى الله عليه وسلم : «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» .[٧]

وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم نفى الفلاح عن الذين يولون أمرهم المرأة، والقضاء من أهم الولايات، سواء كان قضاء عاماً أو قضاء مظالم ولو

١ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٦٥ ولأبي يعلى ٦٠.
٢ ـ مواهب الجليل ٦/ ٨٧ وبداية المجتهد ٢/ ٤٦٠.
٣ ـ المهذب للشيرازي ٢/ ٢٩١.
٤ ـ المغني ٩/ ٣٩ وشرح المنتهي٣/ ٤٦٤.
٥ ـ سورة النساء ٣٤.
٦ ـ نظام القضاء في الإسلام ٢٨ ومحاضرات في علم القضاء ٦٠, ٦١.
٧ ـ صحيح البخاري مع فتح الباري ٨/ ٩٧ وسنن الترمذي ٣/ ٣٦٠ وسنن النسائي ٨/ ٢٢٧ والمسند ٥/ ٣٨، ٤٢ و٤٧ و٥١.

كان تولي المرأة لأي ولاية جائزاً لما نفى الرسول صلى الله عليه وسلم الفلاح عمن فعله.

الدليل الثالث: أنه لم ينقل عن أحد من المسلمين تولية المرأة في القرون المفضلة، ولا بعدها، أي ولاية من الولايات العامة ومنها القضاء والفصل في المظالم، وهذا إجماع فعلي على عدم جواز تولية المرأة لأي ولاية من هذه الولايات، إذ لو كان جائزاً لوقع، فلما لم يقع دل على عدم الجواز.

الدليل الرابع: أن تركيب المرأة الطبيعي لا يمكنها من مزاولة القضاء وفض المنازعات فتؤدي توليتها إلى تعطيل مصالح الناس، وهذا لا يجوز.

الدليل الخامس: أن شهادة المرأة نصف شهادة الرجل والقضاء فيه معنى الشهادة، فلا يقبل حكمها منفردة وتعدد القضاة في الحكم الواحد لا يجوز عند جمهور الفقهاء.

٣ـ العدالة: فلا تجوز تولية الفاسق القضاء، ولا تصح توليته لو ولي، ولا ينفذ حكمه ولو حكم عند الجمهور[١] من المالكية[٢] والشافعية[٣] والحنابلة[٤] ومن أدلتهم ما يأتي:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[٥] وذلك أن الله أمر بالتبين من نبأ الفاسق فلا يكون خبره مقبولاً، فكذلك حكمه،

---

١ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٦٦.
٢ ـ مواهب الجليل ٦/ ٨٧ وبداية المجتهد ٢/ ٤٦٠.
٣ ـ المهذب ٢/ ٢٩.
٤ ـ المغني ٩/ ٤٠ وشرح المنتهي ٣/ ٤١٥.
٥ـ سورة الحجرات ٦.

فلا تجوز توليته، ولا ينفذ قضاؤه.[1]

الدليل الثاني: أن شهادة الفاسق لا تجوز فلا تجوز توليته من باب أولى، لأن الشهادة ولاية خاصة، وولاية القضاء ولاية عامة، وإذا لم تجز الولاية الخاصة كانت الولاية العامة أولى بعدم الجواز.[2]

٤ ـ السمع: فلا تصح تولية الأصم الذي لا يسمع الأصوات ولو علت؛ لأنه لا يسمع كلام الخصوم، ولا يفرق بين الظالم والمظلوم، ولا بين الإقرار والإنكار، ولا بين المشهود له والمشهود عليه، ولا بين المدعي والمدعى عليه.[3]

٥ ـ الكلام، فلا تصح تولية الأخرس، ولو فهمت إشارته عند الجمهور، لأنه لا يتمكن من النطق بالحكم، واستجواب الشهود، وتفهيم الخصوم[4] فيلحق الضرر بتوليته، ويتعطل أداء الواجب، ولا يزيل هذا الضرر فهم بعض الناس لإشارته، لأن الخصوم يأتون من أماكن مختلفة، ومثل الأخرس الأعجمي الذي لا يفهم كلام الخصوم، ولا يفهمون كلامه. هذه أهم الشروط المختلف فيها وقد صرفت النظر عن باقيها، إما لأن الراجح عندي عدم اشتراطه. كالبصر، أو لأنه لا فائدة في بحثه لعدم تحققه في الوقت الحاضر، كالاجتهاد المطلق؛ لأنه لو توقف القضاء في الوقت الحاضر على المجتهد المطلق لتعطل هذا المرفق ولضاعت الحقوق. وكالحرية، لأن وجود الرقيق في الوقت الحاضر نادر، فضلاً عن المؤهلين منهم لتولي القضاء لو وجدوا، فلا يناسب

١ ـ المراجع السابقة.
٢ ـ المراجع السابقة.
٣ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٦٦ ولأبي يعلى ٦٠ وبدائع الصنائع ٧/ ٣ والمهذب ٢/ ٢٩١ والمغني ٩/ ٤٠.
٤ ـ بدائع الصنائع ٧/ ٣ وبداية المجتهد ٢/ ٣٦١ والمغني ٩/ ٤٠.

إيراد ذلك في هذا البحث وهو موجود في مواضعه عند ما تدعو الحاجة إليه .

تولية قاضي المظالم:

تولية قاضي المظالم من مسؤولية الرئيس الأعلى في الدولة ، [1] أو من ينيبه ، لأن الفصل في المظالم مربوط به ، فلا ينتقل عنه إلا بتفويض منه أو ممن ينيبه في ذلك .

إطلاق تولية قاضي المظالم وتقييدها.

لولي الأمر أن يطلق تولية القاضي ، فلا يقيدها بزمان ولا مكان ، ومن غير تقييد بقضية ولا خصومة أو خصوم ، فيجوز للقاضي حينئذ أن يحكم في كل ما يعرض عليه من المنازعات في أي زمان أو مكان ، وفي كل خصومة أو خصوم .

كما أن له أن يقيد تولية القاضي ، بالزمان والمكان والخصومة والخصوم[2] لأن ولاية القضاء تفويض ممن يملكه فجاز تحديدها كالوكالة ، والمصلحة تقتضيه تفادياً لتداخل الاختصاصات وتدافع الخصومات .

وفي هذه الحالة تتحدد ولاية القاضي بما حدد له فلا ينفذ حكمه فيما سواه .

١ ـ الأحكام السلطانية للماوردي ٧٧ ولأبي يعلى ٧٣ و٧٤.
٢ ـ المغني ١٠/ ٩٢ والأحكام السلطانية للماوردي ٧٣.

انتهاء ولاية القاضي

تنتهي ولاية القاضي بأحد الأسباب الآتية :

١ ـ انتهاء الخصومة التي ولي الفصل فيها .

٢ ـ انتهاء الزمن المحدد لولايته ، سواء كان التحديد بالزمن أو بالسن .

٣ ـ اختلال الشروط المعتبرة لتوليته .

٤ ـ العزل سواء كان ذلك من ولي الأمر أو من القاضي نفسه .

الفصل في المظالم في المملكة العربية السعودية

اهتمام الملك عبد العزيز ـ رحمه الله بالفصل في المظالم ـ .

لم يكن هدف الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ من تأسيس هذه المملكة المترامية الأطراف هو حب الزعامة أو الرغبة في السلطة ، أو الحرص على استرداد الملك السليب ، بقدر ما كان يهدف إلى بسط العدل في ربوع البلاد ، وتحكيم شرع الله فيها ، وإنقاذها من وطأة الظلم والعدوان وحياة الغاب التي كانت تعيشها ، من السلب والنهب وسفك الدماء ، وانتهاك الأعراض وتسلط القوي على الضعيف ، والأخذ بيدها إلى مصاف الدول الناهضة ، مع الاعتصام بحبل الله المتين .

قال رحمه الله : «إن خطتي التي سرت عليها ، ولا أزال أسير عليها هي إقامة الشريعة السمحة كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب ، والأخذ

بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد الناهضة، مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف». [1]

ولهذا أول ما فرغ من إخماد الفتن، والقضاء على الخصوم اتجه إلى توطيد الأمن في البلاد، ورد المظالم، وردع العدوان، فوضع للشكايات صندوق على باب الحكومة، ومعه مفتاحه، ودعا كل من له مظلمة أو شكاية أن يرفعها إليه، وأصدر بذلك مرسوماً ملكياً نشر في جريدة أم القرى في عددها الصادر في ٢٦/ ١٢/ ١٣٤٤هـ نصه:

(إن صاحب الجلالة يعلن للناس كافة أن من كانت له ظلامة على كائن من كان، موظفاً أو غيره كبيراً، أو صغيراً، ثم يخفي ظلامته فإنما إثمه على نفسه، وإن من كانت له شكاية فقد وُضِعَ على باب دار الحكومة صندوق للشكاوى، مفتاحه لدى جلالة الملك، فليضع صاحب الشكاية شكايته في ذلك الصندوق، وليثق الجميع أنه لا يمكن أن يلحق المشتكي أي أذى بسبب شكايته المحقة من أي موظف كان.

ويجب أن يراعي في الشكاية ما يأتي:

١ ـ ينبغي تجنب الكذب في الشكاية، ومن ادعى دعوى كاذبة جوزي بكذبه.

٢ ـ لا تقبل الشكاية المغفلة من الإمضاء، ومن فعل ذلك عوقب على عمله، وليعلم الناس كافة أن باب العدل مفتوح للجميع، والناس كلهم كبيرهم، وصغيرهم أمامه واحد، حتى يبلغ الحق مستقره والسلام».

وجاء في البيان الذي أصدره الملك عبدالعزيز رحمه الله ـ في جريدة أم

١ ـ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز ٢١٥.

القرى في عددها الصادر في ١٦/ ١/ ١٣٤٤هـ إن من اختصاص مجلس الشورى النظر في نظام المحاكم وترتيبها بصورة تضمن توزيع العدل، وتطبيق الأحكام الشرعية تطبيقاً لا يجعل مجالاً للهوى. ونقل بعض المؤرخين أن جلالة الملك عبدالعزيز لما توفي والده - رحمه الله - جاءه رجل في صلاة الفجر يدعي أن له في ذمة والد الملك ديناً، وليس له بينة، ودعاه إلى القاضي، فأجابه الملك عبدالعزيز في نفس الوقت وذهبا إلى القاضي في بيته، ولما طرق الملك باب القاضي عرف صوته فقال له: يا عبد العزيز هل أنت ضيف أو خصم، فقال: خصم. فقال له القاضي: اجلس مع خصمك على الأرض. فجلسا، وجلس القاضي على عتبة الباب، وبعد أن حكم القاضي بينهما قال: يا عبد العزيز الآن أنت ضيف فادخل، فدخل وتناولا القهوة معاً.[١]

وهذا من أروع الأمثلة على رفع الظلم وبسط العدل والمساواة، يجلس أكبر مسؤول في الدولة، جلالة الملك نفسه مع رجل عادي لا حول له ولا قوة، جنباً إلى جنب، في الشارع على الأرض حتى يحكم القاضي بينهما، متجاهلاً شخصية الملك ومنزلته.

وما أشبه هذه الواقعة بقصة أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع خصمه اليهودي الذي سرق درعه، حين أجلسه القاضي شريح مع خصمه وحكم لليهودي عليه، فاعترف اليهودي لعلي بالحق، وأسلم لما رأى من عدالة الإسلام وإنصافه.

١ ـ صور من حياة الملك عبدالعزيز الحلقة المنشورة في جريدة المدينة في عددها ٥٣٠٨ الصادر في ٨/ ١١/ ١٤٠١هـ.

وهذا المنهج هو الذي مكن للملك ووطد ملكه، وغرس حبه في قلوب المواطنين فانقادوا له، وبادروا إلى طاعته، وتنفيذ أوامره، لاعتقادهم أنه إنما يسعى لمصلحتهم، وتوفير الراحة لهم، ودفع الأخطار عنهم.

وقد التزم الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ بهذا المنهج، وألزم به، وكذلك أبناؤه من بعده، يقينا منهم أن هذا المنهج هو الذي يضمن لهم الاستمرار بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾.[1]

وكما قال: ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾[2]

وقال: ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾.[3]

أثر اهتمام الملك عبدالعزيز رحمه الله بالفصل في المظالم.

يتضح هذا الأثر من الاستعراض لوضع الجزيرة العربية قبل قيام المملكة العربية السعودية، وبعد قيامها حيث يدرك المطلع على ما كتب عن الجزيرة العربية قبل قيام المملكة، وبعد قيامها الأثر الكبير لما حظيت به المملكة على يد مؤسسها الملك عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ من تحكيم الشريعة الإسلامية وبسط العدل والمساواة، ورفع الظلم والعدوان، فقد وصلت الجزيرة قبل قيام المملكة من الخوف والاضطراب والنهب والسلب وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، والظلم والعدوان، إلى حال لا تقل سوءاً عما كانت عليه قبل ظهور الإسلام،

١ ـ سورة الحج ٤٠.
٢ ـ سورة الحج ٤١.
٣ ـ سورة محمد ٣٨.

فكانت القبائل يغير بعضها على بعض، ويقتل بعضها بعضاً، وتنهب القبيلة أختها، وتغدر بجارتها. ودخل الخوف البيوت بل المساجد، وحال قطاع الطريق دون أداء الحج الذي هو أحد أركان الإسلام، فكان قصد بيت الله الحرام مغامرة لا تقل عن دخول المعركة الضروس وكان المسافر للحج يكتب وصيته، ويقضي ديونه، ويودع أهله، حتى ضرب الفقهاء بهذا السفر المثل للسفر المخوف الذي يدرج صاحبه في عداد المفقودين.

قال الكاتب المصري أحمد حسين: عندما ذهبت لحج بيت الله الحرام عام ١٩٣٤ ميلادية، أو بالأحرى في أوائل ذي الحجة من عام ١٣٥٣ هجرية، كانت شهرة ابن سعود قد سبقته إلى اعتباره الرجل الذي أمن الحج إلى بيت الله الحرام، بما لم يسبق له نظير، بعد أن كان الحج إلى بيت الله الحرام يساوي رحلة الذاهب إليها مفقود والعائد منها مولود، وكان المسلمون الذاهبون إلى الحج يتوقعون الاستشهاد، ويعدون العدة قبل سفرهم.. وكانت حكايات لا تكاد تصدق، فقد كان الحاج يذبح كما تذبح الشاة، على مرأى ومسمع من الناس، فلا يستطع أحد أن ينبس ببنت شفة، إلا إذا أراد أن يلحق به، وكثيراً ما يقتل الحاج لسرقة ما معه، وحينما يكتشف القاتل أن القتيل لا يملك أكثر من ريال ويعاتب لقتله مؤمناً من أجل ريال كان جوابه: الريال أحسن منه». [1]

وقال الأستاذ/ محمد أبو النجا: كنت أسمع وأنا صغير أن المتوجه لحج بيت الله، وروضة رسوله، يعد أكفانه بين طيات زاده، ويترك وصيته، ويودع

١ ـ الملك عبد العزيز، رؤية عالمية للدكتور ساعد العرابي الحارثي ٢٧٤, ٢٧٦.

أهله، وأصحابه، خشية عدم رجوعه». [1] وقال الأستاذ/ سليم طه التكريتي: كانت الجزيرة العربية طيلة العهد الذي دانت فيه لحكم الأتراك مضعضعة الأحوال، انتشرت فيها الفوضى وعم فيها الخراب، فكأنها في حروب دائمة وغزوات مستمرة، وقد أدت هذه الحال إلى انتشار الإرهاب، والخوف، وفقدان الأمن، والطمأنينة في أرجاء الجزيرة كلها، فقد أصبح الشخص لا يأمن على ماله من السلب والسرقة ولا على نفسه من القتل، ونشط الرعاع، وقطاع الطرق، فأقلقوا راحة السكان ونكلوا بالحجاج، حتى امتنع الكثير من المسلمين عن الحج وزيارة البيت خوفاً من أن يلقوا من الشقاة الأذى، في ذهابهم إلى الحج أو إيابهم منه.

وظلت الجزيرة تتدهور من سيىء إلى أسوأ حتى استطاع جلالة الملك عبد العزيز بن سعود أن يضع حداً لأعمال الشقاوة، والنهب، والسلب». [2]

وقال أحد الشعراء [3] في وصف نجد قبل ظهور الملك عبد العزيز:

**فقد كان في نجد قبيل ظهوره		من الهرج ما يبكي العيون تفاصله**
**تهارش هذا الناس في كل بلدة		ومن يتعد السور فالذئب آكله**
**فما بين مسلوب وما بين سالب		وآخر مقتول وهذاك قاتله**

ويقول الدبلوماسي البريطاني ريد بولارد: إنه خلال عمله في جدة عام

---

١ ـ الملك عبد العزيز رؤية عالمية ٢٨٩.
٢ ـ سلطان نجد والحجاز لعبدالمحسن بن صالح اليوسف ٦٧٥, ٦٧٦.
٣ ـ هو الشاعر محمد بن عثيمين كما في (يوم في ذاكرة التاريخ) لعبد الله بن حمد الحقيل/ ٦٣ نقلاً عن العقد الثمين في شعر محمد بن عثيمين.

(١٩٢٠ ـ ١٩٢٤م) لم يكن بإمكان المرء الابتعاد عن جدران المدينة أكثر من ميل واحد» .[١]

وقال آخر عن الجزيرة قبل أن يوحدها الملك عبدالعزيز :

**كان ممزقة الأطراف مرهقة		فالخد منعثر والركن مهدود**[٢]

وما أن قامت المملكة محكمة شرع الله حتى عادت الجزيرة العربية إلى وضعها ، في زمن الرسالة ، من الأمن والاستقرار وسادت الألفة والمحبة ربوعها ، ووصل الأمن والعفة أقصى ذراه ، فكانت المواشي تسيب في الصحراء ترد الماء ، وتأكل الكلأ ، لا يتعرض لها أحد بسوء ، وكانت المتاجر تظل مفتوحة بلا حراسة فترات طويلة من الليل والنهار فيها النقود والأمتعة الثمينة والبضائع المختلفة ، لا تسول لأحد نفسه أن ينال منها شيئاً ، وكانت المفقودات مهما بلغت قيمتها تعود إلى أصحابها ـ بعد معرفتهم ـ كاملة غير منقوصة ، ممن وجدها ، أو من رجال الأمن الساهرين من أجل راحة المواطنين والوافدين .

قال جاك بنواميشان[٣] لقد اختفت جرائم العنف ، وتم تطهير الطرق من عصابات النهب التي غشيتها ، وأصبحت آمنة حتى بالنسبة لأولئك الذين كانوا يسافرون فرادى . . .

وقال : فكان بإمكان التاجر أن يترك بضاعته على قارعة الطريق ، ويعود إليها ليجمعها بعد أسابيع عديدة» .

---

١ ـ الملك عبدالعزيز رؤية عالمية ٢٦٨.

٢ ـ هو الشاعر فؤاد الخطيب كما في (يوم في ذاكرة التاريخ) ٦٨.

٣ ـ الملك عبد العزيز رؤية عالمية٢٦٩

وقال جيرالردي غوري: لو أن قافلة أسقطت كيساً في الصحراء، فلا بد من العثور عليه بعد ستة أشهر في الموضع نفسه فالأمن في المملكة العربية السعودية مدهش، وهو أكثر شمولاً من أي بلد أوروبي.[1]

وقال جورج أنطونيوس: ولا نبالغ إذا قلنا إن المملكة العربية السعودية قد بلغت في ضبط الأمن العام درجة قد تفوق جميع دول العالم، ولا يستثنى من ذلك أعرقها في الحضارة.[2]

ويقول القائد العسكري محمد طارق الإفريقي: ولقد رأيت بأم عيني أثناء تفتيشاتي العسكرية، قوافل تترك حمولتها في الصحارى دون أي حراسة، وتعود إليها بعد أيام عديدة فتجدها كما تركتها، ويجوب الحجاج في طول البلاد وعرضها ليلاً ونهاراً، مع أموالهم، وأولادهم، بكل طمأنينة، فلا يمسهم سوء بعد أن كانوا يقتلون ويسلبون، وهم تحت حراسة جيوش الحلفاء.[3]

ويخاطب الشيخ سلمان بن أحمد آل خليفة الملك عبدالعزيز فيقول: وجلالتكم جديرون بكل تجلة واحترام، كيف لا وأنتم تديرون مملكتكم الواسعة بحسن السياسة والتدبير، وقد نشرتم عليها ألوية العدل والنظام، ومددتم فيها بساط الأمان والاطمئنان والعطف والإحسان، ولعمري إن الأمان العام في جميع المملكة السعودية لهو مضرب المثل، وهو منقطع المثيل ولا يكاد يوجد له في العالم شبيه أو مثيل.[4]

---

١ ـ الملك عبدالعزيز رؤية عالمية ٢٧٠.
٢ ـ الملك عبد العزيز رؤية عالمية ٢٧٢.
٣ ـ المرجع نفسه ٢٧٢و٣٧٣
٤ ـ المرجع نفسه ٢٧٢ و٢٧٣.

ويقول أحمد حسين: أصبحنا نسمع عن الحاج الذي سقطت منه حقيبة نقوده على الطريق العام، فظلت حيث هي عدة أيام بلياليها، حتى جاء صاحبها والتقطها بنفسه، لأن أحداً لم يكن يجسر على الاقتراب منها ومعرفة أي شيء هي حتى لا يقع في محظور.[١]

ويقول الدكتور محمد نصر مهنا عن الملك عبد العزيز: «إن الرجل يعتبر ظاهرة فريدة، كان أكثر من ملك، وأكثر من مؤسس دولة، وأكثر من مصلح إمام، جعل الأمن والاستقرار وتأمينهما من أول بديهيات الدولة».[٢]

ويقول الشيخ حافظ وهبة في مدح الملك عبد العزيز: ولا يقدر مجهودات الملك عبد العزيز حق قدرها إلا الواقفون على أحوال البلاد العربية، المتصلون بها، الخابرون لشؤونها، إن الذي يعرف بلاد العرب قبل ثلاثين سنة[٣] ويقرأ كتب الجوابين من الإنجليز يعرف ما لهذا الرجل من فضل في استتباب الأمن والضرب على أيدي قطاع الطريق من القبائل.[٤]

ويقول جواهر لآل نهرو الزعيم الهندي: وبعد أن نجح ابن سعود كجندي، وكمحارب، كرس كل جهوده لبناء بلاده على أسس عصرية حديثة لقد أراد القفز بها من حياتها القبلية إلى حياة العصر الحديث، ويظهر أن ابن سعود قد نجح إلى حد كبير في هذا المضمار وأثبت بذلك أنه رجل سياسي قدير بعيد النظر كان أول عمل ناجح قام به إقرار الأمن داخل البلاد، فأصبحت ـ في

١ ـ المرجع نفسه ٢٧٦ و٢٧٧.
٢ ـ المرجع نفسه ٢٨٠.
٣ ـ من تاريخ كتابته لهذا القول.
٤ ـ الملك عبدالعزيز رؤية عالمية ٢٨٣ و٢٨٤.

وقت قصير ـ قوافل الحجاج تسير بطمأنينة كبيرة، وكان هذا انتصاراً عظيماً سر له الناس كثيراً، لأن الحجاج كانوا في السابق معرضين للنهب والسلب أثناء أسفارهم، [1] وليس هناك من تفسير لما حظيت به المملكة العربية السعودية من الأمن والاستقرار، والطمأنينة والازدهار إلا الالتزام بتحكيم شرع الله، والعدل والمساواة في تطبيقه، ورفع الظلم ومنع التجاوز والعدوان. وقد أثار ذلك غرائز الشعراء وأطلق ألسنتهم في مديح الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ والثناء عليه، ومن ذلك قول أحدهم: [2]

فابدلكم ربي من الفقر دولة وبالذل عزاً بز خصماً يناضله
بيمن إمان انتمو في ظلاله يدافع عنكم راية وذوابله
به الله أعطانا حياة جديدة رفهنا بها من ضنك بؤس نطاوله

وقوله:

فأمنها بالله من أرض جلق إلى عدن مستسلماً كل مجرم
فلا متهم يخشى ظلامة منجد ولا منجد يخشى ظلمة متهم

وقول الآخر: [3]

أقمتم صروح العدل والفضل والتقى وأعليتمو بنيان شرع تهدما
وأطلقتمو ما قيد البغي والهوى وقيدتمو ما أطلقاه تحكما

---

١ ـ المرجع السابق ٢٨٩ , ٢٩٠.
٢ ـ هو الشاعر خير الدين الزركلي، كما في (يوم في ذاكرة التاريخ) ٦٣ نقلاً عن (الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر) للشيخ عبد القدوس الأنصاري.
٣ ـ هو الشاعر أحمد إبراهيم كما في «يوم في ذاكرة التاريخ» ٦٥ نقلاً عن جريدة أم القرى في عددها ٨٩ في ١٨/ ٢/ ١٣٤٥هـ.

وقال الآخر : [1]

وأنقذ العرب العربـــــاء من فتن		كالســيل في جنح ليل ما له قمر

وقال الآخر : [2]

بسطت لواء الأمن كالظل وارفـاً		فأصبح ممدود الـرواقـين يـطـبـق
وشيدت للعدل الصروح مشيـدة		تناطـح أعنان السماء وتـسـمـق
ووطت للتوحيــد صــرحاً ممرداً		بإعــلاء دين الله يزهى ويـورق
فكم مســـلم أدى الفريضة آمناً		وقد كان منها قبل عهدك يشفـق

١ ـ هو الشاعر علي بن محمد السنوسي كما في المرجع السابق ٦٧ نقلاً عن «الملك عبد العزيز في مرآة الشعر».
٢ ـ هو الشاعر فؤاد الخطيب كما في المرجع السابق ٦٨ نقلاً عن ديوان الشاعر نفسه.